

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حواشي اليوسي على
شرح خبري اليوسي

عنوان الكتاب	: حواشي اليوسي على شرح كبرى السنوسي
المؤلف	: أبو المواهب الحسن بن مسعود اليوسي
المحقق	: حميد حماني اليوسي
الطباعة والسحب	: مطبعة دار الفرقان للنشر الحديث الدار البيضاء
الطبعة	: الأولى
الجزء	: الأول
تاريخ النشر	: شتنبر 2008
رقم الإيداع القانوني	: 2008/1932
ردمك	: I.S.B.N 9981-1982-7-7
الحقوق	: جميع الحقوق محفوظة للمحقق.

سلسلة الأعمال الكاملة
للإمام الحسن بن مسعود اليوسي في الفكر الإسلامي

⑤

حواشي اليوسي على شرح كبرى السنوسي

المسماة: عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد

للإمام الفقيه الأصولي النظار

أبي المواهب الحسن بن مسعود اليوسي

المتوفى سنة 1102 هـ

الجزء الأول

تقديم وتحقيق وفهرسة:

الدكتور حميد حماني اليوسي

أستاذ التعليم العالي بكلية الحقوق

جامعة الحسن الثاني عين الشق - الدار البيضاء

1429 هـ / 2008 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ ۝ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝ إِيَّاكَ
نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ اهْدِنَا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ
غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝

الإهداء

إلى :

روح جدنا الأكبر الإمام الحسن اليوسي
برورا بوصيته لأولاده وأحفاده بالعناية بتراثه الأثيل.

ولدي: عماد الدين وسلمى بسمتي الأمل
-أصلحهما الله وأمتع بهما-

حميد حماني

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ
الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ
زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ
الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

النور: 35.

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ
يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾

الأعراف: 185.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ
الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

آل عمران: 190-191.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستعديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

وبعد، فهذا كتاب حواشي اليوسي على شرح كبرى السنوسي في التوحيد، الحلقة الخامسة في سلسلة الأعمال الكاملة¹ للإمام اليوسي في الفكر الإسلامي، يأتي ليعزز مكتبة العلامة اليوسي التي آليت على نفسي إخراجها وجلاءها على الناس، بعد أن ظل مخطوطا حبيس رفوف الخزانات الوطنية والعالمية ما يزيد على ثلاثة قرون وخمسين سنة، مع أنه من أسير كتب أبي علي اليوسي وأكثرها ذكرا في كتب التراجم والفهارس، وأعظمها نفعا وعائدة في علم أصول الدين الذي برع فيه المغاربة.

فهو هذه المثابة إذن، يصنف بحسب طبيعة مادته في علم أصول الدين، ضمن الكتب التي «أراد بعض العلماء أن يكيفوا المتون والأمهات التي يقومون بتدريسها ويطبعونها بطابعهم الخاص، فوضعوا لها شروحا أو حواشي كتبوها أثناء مدة التدريس، وانتسخها الطلبة ثم انتشرت واشتهرت»².

¹ - صدر منها حتى الآن: "القانون في أحكام العلم والعالم والمتعلم" في جزء ضخيم، "مشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص" في جزئين، وكتاب "البدور اللوامع في شرح جمع الجوامع" في أربعة أجزاء. وفهرسة اليوسي في جزء واحد.

² - الحركة الفكرية في عهد السعديين/1: 138.

فعلى الرغم مما يسم الإنتاج المغربي في مجال العقائد الإسلامية من منعرجات وتشعبات، فإن الدارس له والمهتم به يخرج بصورة واضحة «تبرز ميزات هذه البحوث، التي تسم وجهات النظر المغربية بطابع خاص، يبرز كثيرا مما ألحقه علماء المغرب بالتراث الإسلامي، من تعاليق وحواش وتقييدات وشروح، لا تقل في بعض الأحيان قيمة وعمقا وتركيزا عن صلب البحث»¹.

ولهذا، فلا غرابة أن يكون حظ كتب الإمام السنوسي وافرا من هذه العناية، إذ عليها كان -وعلى غيرها في حدود- الاعتماد في تدريس علم التوحيد بالشمال الإفريقي لردح طويل من الزمن «فكتبوا عليها نحو عشرين شرحا وحاشية، وشرحوا أيضا عقائد المهدي بن تومرت (ت: 524 هـ)، وسعيد الحاحي، وكفاية المريد لأحمد بن عبد الله الزواوي (ت: 884 هـ) ومحصل المقاصد لأحمد بن زكري التلمساني (ت: 899 هـ) وغيرها، وألفوا عقائد مستقلة نثرا ونظما تدرس للطلبة، وأخرى مبسطة تلقن للنساء والصبيان أو للعوام والخدم»².

وفي هذا ملمح من ملامح المكانة الرفيعة لعلم التوحيد في منظومة العلوم الإسلامية عند المغاربة، فهو يأتي في طليعة العلوم الإسلامية الأصيلة عندهم، لكونه الأصل الذي عليه تبنى الأحكام، وبهذا الاعتبار فهو يعد المنجي من الخيالات والأوهام، لذلك تطلعت همهم على مدى العصور إلى إثراء مباحثه، وإفراده بالكتب المشتملة على الفوائد الجمّة، مع غاية في التنقيح والتهذيب، ونهاية في حسن التنظيم والترتيب.

والذي حملهم على ذلك، هو اقتناعهم وإطباقهم في آن واحد، على أن شرف العلم إنما يكون تابعا لشرف المعلوم، وليس هناك أعظم ولا أشرف من معرفة مباحث الإلهيات، كإثبات الواجب الحق تعالى وتقدس، وتزيه ذاته وصفاته... وغيرها من مباحث العقيدة الإسلامية، مقاصد الطالبين من المكلفين، ومجال أعمال العقل والنظر للخروج من ربة التقليد المذموم، طبقا لآيات القرآن الكريم الداعية إلى النظر في المخلوقات والتفكر في المصنوعات مصداقا لقوله تعالى: ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾³، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ

¹ - معلمة القرآن والحديث في المغرب الأقصى: 7.

² - الحركة الفكرية في عهد السعديين/1: 143.

³ - يونس: 101.

وَالْأَرْضُ»¹، والذامة من تعامى عن النظر في آياته، طبقا لقوله جل اسمه: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ»².

وعلى هذا الأساس يركز المشروع الفكري لليوسي في العقيدة، ومنه يستمد قوته، فقد خصص له حيزا هاما من تفكيره واهتمامه ضمن أعماله الفكرية، تجلّى على الخصوص في ذلك الإنتاج المعرفي المتميز كما وكيفاً، المعد خصيصا لمعالجة قضايا العقيدة، ونمثل له "بحواشيه على شرح كبرى السنوسي" موضوع تحقيقنا، و"مشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص"، وما بسط فيه مباحث عقدية حسبما يمليه السياق ويجر إليه تقرير الكلام، ك"القانون في أحكام العلم والعالم والمتعلم" و"البدور اللوامع في شرح جمع الجوامع"، وغيرها.

بل إن اليوسي كثيرا ما تعرض لقضايا العقيدة في إنتاجه الأدبي، ولو بكيفية عرضية، في فصول ممتعة، ككتابه "اغاضرات"، وكتابه "نيل الأمان في شرح التهاني"، وذلك بالتبني على الأشعار المنطوية على الفوائد الجملة في مجال العقائد، كشأنه مع الشاعر أبي نواس، الذي استحسن بعض كلامه فقال فيه: «... وهذا الكلام يدل على سلامة صدر أبي نواس وحسن عقيدته، مع ما كان عليه من التهنك والانهماك في الجون، وقد رني بعد موته فقيل له ما فعل الله بك؟ فقال غفر لي لأبيات قلتها عند موتي وهي قوله:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة	★★	فلقد علمت بأن عفوك أعظم
أدعوك رب كما أمرت تضرعا	★★	فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم
إن كان لا يرجوك إلا محسن	★★	فمن ذا الذي يرجو المسيء المجرم
ما لي إليك وسيلة إلا الرجا	★★	وجيل ظني ثم إنني مسلم

جعلنا الله ممن أسلم وسلم من الشرك والشك، وفوض الأمر كله لذي العزة والجبروت والملك»³. وبذلك كان أثر العقيدة في الأدب عند اليوسي واضحا إلى حد بعيد، يعكس ذلك بجلاء

¹ - الأعراف: 185.

² - يوسف: 105.

³ - حاشية اليوسي على شرح الكبرى، مخطوط الخزانة الملكية رقم: 263. ص: 290.

ما سطره في حواشيه على شرح كبرى السنوسي كما سنقف عليه، وفي ديوانه الشعري المطبوع على الحجر بفاس سنة 1927م والحقق تحقيقا علميا بجامعة الجزائر سنة 1969م.

وفي هذا الصنيع أدل دليل على تعميق الوعي العقدي بكل الممكنات المتاحة من قبل العلامة اليوسي، وتسخير كل العلوم لخدمة العقيدة الإسلامية، واستثمارها لفائدتها أحسن استثمار، كتعامله دون غضاضة مع علم المنطق في صياغة أدلة التوحيد العقلية، للبرهنة على وجود الله وصفاته، وما يرتبط بذلك من مسائل أصول الاعتقاد السني الصحيح، على الرغم من المواقف المتباينة لمفكري الإسلام من هذا العلم، المعبر في عداد العلوم الدخيلة على علوم المسلمين في رأي فريق منهم.

فكان اليوسي -رحمه الله- ملتزما بالدفاع عن الفكر الإسلامي السني بإشرافه وصفاته، بتقديم الحجج والبراهين، لتفنيد مزاعم كل المبتدعة، وعلى الخصوص دعاوى أصحاب الأديان والعقائد، من واقع مسئوليته الدينية انطلاقا من الحديث الشريف: (أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعِ النَّاسَ بِعِلْمِهِ)¹.

وبذلك عد في سلك المشاركين في لجج المناظرات الكلامية، التي دارت بين الإسلام وسائر العقائد والأديان، والتي تولدت عنها معظم موضوعات علم الكلام ونظرياته، فناقش مختلف الملل والنحل، وأبطل عقائدها من منطلق الخبر بمواطن زللها.

هذا، ولا يفوتني وأنا أقدم لجمهور المتعطين لعيون تراث أعلام الفكر المغربي الأصيل كتاب "حواشي اليوسي على شرح الكبرى"، أن أسجل كلمة تحية أخوية صادقة من قلب يفيض حبا واعتزازا في حق أستاذين أصيلين خصوصا، وأبناء عمومتنا من آل اليوسي عالم المغرب ومفخرته عموما، ليعلموا أنني أحفظ لهم في نفسي مثل ما يحفظون لي من وفاء، وأطوي لهم بين جوانح صدري على مثل ما يطوون لي من ولاء، وهو أمر جدير بالإفصاح عنه بعظمة اللسان، وتخليده بالبنان في مقدمة هذا الكتاب، كواجب علي نحو إخوة أعزاء يؤدي، وحق ثابت في الذمة يوفي:

¹ - رواه الطبراني في الصغير بلفظ مغاير ص: 220 رقم: 508. من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف.

- الدكتور محي الدين أمزازي، الأستاذ بكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية- أكادال، وبالمعهد الوطني للدراسات القضائية سابقا، الذي يمكن أن نذكر من بين أعماله الفكرية في مجال الدراسات القانونية والمؤسسات السياسية:

* البرلمان والممارسة التشريعية في المغرب: محمد الإدريسي العلمي، محي الدين أمزازي، عبد الواحد بن مسعود، وغيرهم. دار توبقال للنشر، سلسلة المعرفة الاجتماعية، الطبعة الأولى سنة 1985.

* "Islam et droit pénal au Maroc" 1987 Archives de politique criminelle, Publications de la Faculté de Droit de Rabat.

* كتاب "العقوبة؟"، منشورات جمعية تنمية البحوث والدراسات القضائية الصادر سنة 1993،

* "Constitution et droit pénal" 1994, publié avec le concours de la fondation Hanns-Seidel/Rabat.

فقد كان دور الأستاذ أمزازي رائدا ضمن الأوائل الذين أولوا عناية فائقة لتراث اليوسي، ونبه إلى ضرورة خدمته جمعا ودراسة وتحقيقا ونشرا، وعبر عن تلك الرغبة الجارحة المنبعثة من شغفه بالبحث العلمي وإيمانه بقيمة الفكر المغربي وإسهاماته الجلى، فجسد ذلك عمليا بجمعية طائفة من الغيورين على تراث الإمام اليوسي، في صيف سنة 1979، بخلق الإطار المؤسسي الذي يغني العمل الجماعي ويطوره وينمي، المتمثل في "الجمعية الثقافية لحفدة العالم الجليل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي" التي أسسوها لهذا الغرض النبيل.

فانخرطت في تلك الجمعية الفتية بكل اعتزاز، وتوليت مهمة التنسيق لفرعها على مستوى مدينة الدار البيضاء، وكان الأستاذ أمزازي رئيسها، الذي انطلق والحق يقال بكل إيمان وعزم، وفي نيته الصداقة إنجاز برنامج طموح، تبلور من خلال اللقاءات المتوالية بضريح زاوية العلامة اليوسي، لاسيما خلال تخليد ذكرى وفاته رحمه الله تعالى برسم كل سنة، في ليال حافلة بالذكر وقراءة القرآن والأمداح النبوية. أو عند تخليد المناسبات الدينية والوطنية.

ومما تم تسطيره في طليعة أولويات برنامج الجمعية آنذاك كما سبقت الإشارة، مشروع إخراج الأعمال الكاملة للإمام اليوسي في الفكر الإسلامي، وإحداث مكتبة بالزاوية اليوسية تكون جماعاً لتراثه المطبوع والمخطوط، الذي ضاع في ظروف غامضة بين الأربعينات والخمسينات من القرن الماضي، إلى غير ذلك من المشاريع التنموية التي كنا ولا زلنا نتطلع إلى تحقيقها، وفاء ببعض الدين الذي لازال يطوق أعناقنا جميعاً نحو مسقط رأسنا، ومحط هونا وأنسنا، بحكم الإلف الطبيعي، كما قال علي بن العباس الرومي من قصيدة:

وحب أوطان الرجال إليهم	★★	مآرب قضاه الشباب هنالك
إذا ذكروا أوطانهم ذكرهم	★★	عهد الصبا فيها فحنوا لذلك
فقد ألفتة النفس حتى كأنه	★★	لها جسد إن بان غودر هالكا

وإن مما يثلج الصدر، ويجعل لسان المرء يلهج بحمد الله تعالى وشكره دون فتور، أن مشروع نشر أعمال الإمام اليوسي عرف النور، وقطع شوطاً لا بأس به، رغم العقبات والمعاناة التي لا يستشعرها ولا يقدرها حق قدرها في غيره، إلا من كابد هموم البحث والتنقيب والتحقيق.

والكتاب الذي نقدم له اليوم، هو خامس الكتب في هذه السلسلة المباركة، وثمار غرس تولاه الأستاذ أمزازي وغيره من ذوي الأريحية بالحدب والرعاية، والكاتب واحد منهم، من منطلق الاعتزاز بالفكر المغربي وإسهاماته في مختلف الحقول المعرفية، والاعتقاد الجازم بأن لا شيء أفيد وأنفع من العلم مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَنْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِيهِ الْأَرْضُ¹﴾، ثم الاقتناع بقيمة تراث اليوسي، وما ينطوي عليه من المعاني السامية والقيم النبيلة، كمحطة أساسية في تاريخ الفكر المغربي، ومن ثم ضرورة القيام في الورد والصدر بواجب إبراز ملامح الثقافة الوطنية، والشخصية الحضارية لأمتنا.

وإذا كان كما يقال تكفي الليب الإشارة، ففي هذه البطاقة التي هي منتهى الطاقة الغنية وغاية النية، أملاها واجب الاعتراف بالفضل لأهله، والإقرار في إنصاف ببعد مرامي الأخ محي الدين وسعة أفقه، وعقله الكبير. وأهتبلها مناسبة، والمناسبة شرط كما يقول الأصوليون، لأجدد

¹ - الرعد: 17.

الشكر الوافي لسيادته، على ما سعى فيه سعيا حثيثا منذ قرابة ثلاثين عاما، وذلك بتمهيد الأرضية لهذا المشروع الفكري، وشحذ هممنا للنهوض به، فجزاه الله خيرا، وأثابه على خالص نيته وصفاء سريره، وبارك في جهودنا جميعا، وهيا لنا من أمرنا رشدا، ورحم أسلافنا وآباءنا رحمة واسعة.

– الدكتور حسن مهليل، الذي كان ولا يزال خير سند، وأخلص معين في تدليل كثير من الصعاب، مما يسر بعون الله إخراج هذا الكتاب -وغيره من كتب السلسلة- في ثوبه الجديد.

وبذلك أسهم الأخ حسن مشكورا في نكران ذات وسمو أخلاق على عادته، في تحقيق أمنية فكرية كانت ولا زالت إلى اليوم من أعز الأمناني لدينا جميعا، كم كنا نتحرق شوقا، نحن وباقي إخواننا أعضاء الجمعية الثقافية السابقة الذكر، إلى تحقيقها ونحن طلاب جامعة خلال السبعينات، بكل من كليتي الحقوق بالرباط والدار البيضاء، فأضحت اليوم بعون من الله وتوفيقه في حكم الممكن بعد أن كانت عزيزة المنال.

وليس هذا الأمر بغريب عن دماثة أخلاق الأستاذ الأصيل الأخ حسن، ولا عن همته العالية بعزيز، فقد حاز قصب السبق إلى الاهتمام بكل ما يتصل بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لمنطقته، ومسقط رأسه بزاوية الإمام اليوسي رحمه الله، فصاغ تلك العناية في أول باكورة عمل علمي له وهو طالب بكلية الحقوق بالرباط لنيل الإجازة، في شكل بحث ذي مسحة اقتصادية تعانق تخصصه في علم الاقتصاد، بعنوان : *La vie économique et sociale des nomades dans la région de BOUYABLANE* في غضون شهر يونيه لعام 1975.

فكان هذا الصنيع مما حملني -وأنا تلميذ زمن اليفاع- على أن أكبر فيه ذلك الاهتمام المبكر، وبقي كما عرفته أخا ثابت الإخاء، وثيق النفس، لا تشوب أخوته ولا صداقته زيف من شوائب الدنيا، وفي خدمة العلم والأخذ بأسباب طلبه، عطوفا على طالبيه والمنقطعين له، ساعيا في مواصلة السير قدما في سبيل تحصيله رغم انشغالاته ومسؤولياته الوظيفية والعائلية.

فحقق الله مراده وأبلغه مرامه، فتقدم لكلية الحقوق -الرباط أكadal- برسالته لنيل دبلوم الدراسات العليا في موضوع: *Marché des changes au Maroc concepts mécanismes, fonctionnement et enjeux* حيث نوقشت في أبريل 2005.

وقد شكل هذا الإنجاز العلمي بالنسبة للأخ حسن دافعا قويا، أذكى حماسه المعهود، وزادته قوة وإصرارا على طريق العلم اللاحب، في صمت العامل المخلص، والمتواضع الرقيق الحاشية، المؤمن أشد الإيمان بما هو مقبل عليه، فطالعت بتاريخ 28 مارس سنة 2007 بموضوع أطروحته العلمية التي تقدم لمناقشتها برحاب كلية الحقوق بالرباط دائما في موضوع:

Le commerce International et Marchés de change dans la dynamique de l'ouverture de l'économie - cas du Maroc-

وبهذه المناسبة، فإنه يطيب لي والسعادة تغمر جوانحي، أن أتقدم إليه بخالص التهنية، مع وافر الدعاء له بتمام العافية ومزيد البذل والعطاء.

– كما ينصرف شكري إلى جماعة أهل الفضل من أبناء عمومتنا، وأصدقائنا وزملائنا، والذين يتعذر علي سرد أسمائهم كاملة، عما صدر منهم في حقنا من رقيق عبارات الشكر، وتضمن المجهود المتواصل الذي نبذله، على درب تحقيق تراث الإمام الحسن اليوسي.

فليعلم هؤلاء وغيرهم عظيم اعتزازنا بهم، وإن شط المزار وبعدت الديار، فهم وبكل صدق مصدر تشجيعنا وإقبالنا الجامح على هذا المشروع الفكري، والدافع الذي يحرك هممنا، فيزيدنا قوة وعزما ومضاء لخدمة تراث الأسلاف.

ولا غرو، أن يصدر منهم في حقنا ما صدر، فقد نهلوا من مشرب القرآن والسنة، وتربوا على فضائل الأخلاق ومكارمها، وشبوا على التشبع بقيم الوفاء والوطنية الصادقة، والآداب الإسلامية الرفيعة، المركوزة في طباعهم، كما هي ممزوجة بدمائهم عناصر النبوغ، وآيات الرشد والنباهة، والذكاء بحكم الاكتساب والوراثة.

وإذا كان لنا من فضل، فيما نقدمه نجوى بين الأيدي، هدية لروح جدنا الأكبر جميعا -الإمام اليوسي رحمه الله-، والتي تحفظ أثرها الكريم في نفوسنا نورا وهدى ومحبة ومثلا عاليا، فإنما هو فضل السبق، ثم إقرار وترسيخ سنة حميدة نرجو الله تعالى أن يشينا عليها جميعا، في ربط الأجيال بماضيها وتاريخ أعلام المغرب الأكابر، وحملها على الاعتزاز بهويته الثقافية وشخصيته الحضارية المتميزة. عملا بفحوى الأثر الشائع «من أرخ عالما فكأنما أحياه»، وإلا فهم أهل لكل خير، وفي مستوى كل عمل جليل، لما عهدناه فيهم ولازلنا من كفاءات علمية رفيعة المستوى، في جميع فروع

المعرفة، من علوم الدين، والقانون، والاقتصاد، والسياسة، والأدب، والطب، والرياضيات، والعلوم الطبيعية... ولا غرابة في ذلك فالدر من معدنه كما قيل.

ولما كانت نفحات الخير غادية ورائحة، وكل واحد من الخلق يحظى من مائدة الله تعالى في باب الخصوصيات بنصيب، فإن الأمل معقود على أبنائنا وناشتنا أن يحدوا حدودنا في هذا المنحى، ويسيروا على هذا السنن، في مستقبل نأمل أن يكون واعدا وباسما.

فالحمد لله أولا وآخرا، على ما أنعم وأهم، ومرة أخرى فليجد الإخوة الأعزة مني في كتاب "حواشي اليوسي على شرح كبرى السنوسي"، عربون الوفاء والحب والتقدير.

والله المستول أن يديم علينا جميعا نعم التوفيق والعافية والتسديد، ويسر أسباب إنجاز هذه السلسلة من الأعمال الطويلة الذيل من تراث الإمام اليوسي في الفكر الإسلامي، والتي نراهن على أن يصل عدد أجزاء كتبها المخطوطة بعد الطبع والتحقيق والإخراج إلى 25 جزءا أو يزيد.

ودونكم فيما يلي تقرير الكلام في الفصول والمباحث الكفيلة بتقديم كتاب "حواشي اليوسي على شرح كبرى السنوسي"، والتعريف به تعريفا إحاطيا، مرتبة كالآتي:

الفصل الأول: التعريف بالإمام السنوسي وكتابه "عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد.

الفصل الثاني: الجديد في ترجمة الحسن اليوسي والمكتشف من تراثه.

الفصل الثالث: التعريف بكتاب "حواشي اليوسي على شرح كبرى السنوسي".

الفصل الرابع: عملنا في تحقيق كتاب "حواشي اليوسي على شرح كبرى السنوسي".

الفصل الأول: التعريف بالإمام السنوسي وكتابه "عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد"

شخصية الإمام السنوسي رحمه الله شخصية علمية فذة، يستعصي على الباحث الإحاطة بها في صفحات، لاسيما إذا كان موقعه في هذا التقديم موقعاً عرضياً، لذلك نعرف به في إجمال، ونحيل القارئ الكريم على كتب التراجم التي أفردته بالتعريف الوافي، وكتب المناقب التي ألفت في مناقبه وكراماته.

المبحث الأول: التعريف بالإمام السنوسي

أولاً: اسمه ونسبه

هو محمد بن يوسف بن عمر شعيب السنوسي¹، وبه عرف، الحسيني نسبة للحسن بن علي من جهة الأم، التلمساني، الإمام العالم المتفنن، الصالح الزاهد، ولي الله تعالى، ابن الشيخ الصالح الزاهد الخاشع الأستاذ المحقق أبي يعقوب.

ثانياً: نشأته وتلقيه العلم

قال صاحب نيل الابتهاج في ترجمته: «نشأ خيراً مباركاً فاضلاً صالحاً، أخذ - كما قال تلميذه الملاي - عن جماعة منهم: والده المذكور، والشيخ العلامة نصر الزواوي²، والعلامة محمد بن توزت³، والسيد الشريف أبو الحجاج يوسف بن أبي العباس بن محمد الشريف الحسيني⁴، أخذ عنه القراءات، وعن العالم المعدل أبي عبد الله الحباك علم الأسطرلاب، وعن الإمام محمد بن

¹ - لمزيد التفصيل في ترجمته يراجع: الدوحة: 121، النيل: 325، درة الحجال/2: 141، شجرة النور/1: 266، البستان: 237، الأعلام للزركلي/7: 154، فهرس الفهارس/2: 243، معجم المؤلفين/12: 132، كشف الظنون: 170، 1157، 1158، 1501، هدية العارفين/2: 216.

² - راجع ترجمته في طبقات الحضيكي رقم 516.

³ - راجع ترجمته في نيل الابتهاج: 321.

⁴ - نيل الابتهاج: 209، وكفاية المحتاج: 377.

العباس¹ الأصول والمنطق، وعن الفقيه الجلاب² الفقه، وعن الولي الكبير الصالح الحسن أبركان³ الراشدي حضر عنده كثيرا وانتفع به وبركته، وكان يحبه ويوثره ويدعو له، فحقق الله فيه فراسته ودعوته، وعن الفقيه الحافظ أبي الحسن التالوي⁴ أخيه لأمه الرسالة، وعن الإمام الورع الصالح أبي القاسم الكتابشي⁵ إرشاد أبي المعالي والتوحيد، وعن الإمام الحجة الورع الصالح أبي زيد التعالي الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث، وأجازه ما يجوز له وعنه، وعن الإمام العالم العلامة الولي الزاهد الناصح إبراهيم التازي، ألبسه الخرقة وحدته بما عن شيوخه وبصق في فمه، وروى عنه أشياء كثيرة من المسلسلات وغيرها، وعن العالم الأجل الصالح أبي الحسن القلصادي الأندلسي الفرائض والحساب وأجازه جميع ما يرويه وغيرهم⁶.

ثالثا: مؤلفاته

كان الإمام السنوسي رحمه الله غزير التأليف، شارك في كل الفنون، فدل ذلك على رفيع مكانته العلمية في التفسير والحديث والأصول والمنطق... ونجتزئ من أعماله الفكرية ما له صلة بالعقائد، من ذلك: "عقيدته الكبرى" أول ما صنف في التوحيد و"شرحها"، والعقيدة الوسطى "وشرحها"، و"الصغرى" المسماة بأمر البراهين، و"شرحها"، و"عقيدة" أخرى أصغر منها وهي التي تسمى بالحفيدة، و"شرحها" فيها فوائد ونكت، و"عقيدة صغرى صغرى الصغرى" وتسمى بالعقيدة الوجيزة أو عقيدة النساء، و"المقدمات"، ضمنها مجموعة من المصطلحات والمفاهيم المتداولة في أصول الدين وأصول الفقه، و"شرحها"، و"شرح الأسماء الحسنى"، و"شرح التسييح"، و"شرح عقيدة الحوضي" وهي منظومة تلميذه أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الحوضي المسماة "واسطة السلوك"، و"عقيدة" فيها دلائل قطعية رد بها على من أثبت التأثير للأسباب العادية، و"شرح

¹ - راجع ترجمته في وفيات المشايخ: 148، درة الحجال/2: 295، فهرس ابن غازي: 114.

² - راجع في ترجمته البستان: 236.

³ - راجع ترجمته في نيل الابتهاج: 109، معجم أعلام الجزائر: 14.

⁴ - راجع ترجمته مفصلة في: نيل الابتهاج: 210، وشجرة النور الزكية: 266.

⁵ - راجع ترجمته مفصلة في: نيل الابتهاج: 266، البستان: 152.

⁶ - نيل الابتهاج: 325.

المرشدة" للمهدي بن تومرت، و"شرح الجواهر في الكلام للعضد على طريقة الحكماء"، وشرح على منظومة شيخه أبي العباس أحمد بن عبد الله الجزائري المسماة "كفاية المريد في علم التوحيد".

يضاف إلى هذا، فتاويه ورسائله ومواعظه وأجوبته، التي حفظتها لنا كتب التراجم والفتاوى، التي كثيرا ما دارت بينه وبين معاصريه من العلماء، وأبان فيها عن وجهة نظره في كثير من القضايا الفكرية والعقدية التي شهدها عصره، وبخاصة ما تعلق منها بعلم الكلام.

المبحث الثاني: التعريف بكتاب "عمدة أهل التوفيق والتسديد

في شرح عقيدة أهل التوحيد"

أولا: التعريف بالكتاب ومضمونه

كتاب "عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمات الجهل وزيف أهل التقليد المرغمة أنف كل مبتدع عنيد" رابع أربعة كتب، ضمن مصنفات الإمام السنوسي في مضممار العقائد الإسلامية، على منهاج شيخ السنة أبي الحسن الأشعري.

فكتاب "عقيدة أهل التوحيد"، هو المعروف بـ"العقيدة الكبرى"، التي تحتل المرتبة الأولى في التدرج لتليها العقيدة الوسطى، ثم العقيدة الصغرى، فصغرى الصغرى. ووفاء لمنهج في باقي عقائده في إتخافها بالشروح الوافية بالمقصود من تأليفها، خص السنوسي كتابه هذا بشرح حافل سماه: "عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد". استجابة لمن طلب إليه ذلك، كما جاء على حد قوله :

«لما وفق الله سبحانه تعالى لوضع العقيدة المسماة بـ"عقيدة أهل التوحيد، المخرجة بعون الله من ظلمات الجهل وريقة التقليد، المرغمة بفضل الله تعالى أنف كل مبتدع عنيد"، طلب مني بعض من اعتنى بقراءتها أن أضع عليها مختصرا يكمل مقاصدها، ويسهل المشرع إلى ما عذب من مواردها، فأجبتة إلى ذلك طالبا من المولى الكريم حسن المعونة والتسديد للصواب في الظواهر والبواطن، التي هي عن كثير من العلل غير مصنونة، وسميته "عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد"، والله أسأل أن ينفع به وبأصله، ويمن على من سعى في تحصيلها بنيل مراتب أهل العرفان، والفوز بكمال الدارين بحوله وطوله».

وقد حظيت عقائد السنوسي وشروحها بالإطراء والمديح من قبل معاصري الإمام السنوسي لقيمتها، فهذا محمد بن عبد الرحيم التازي¹ يكتب للإمام السنوسي قصيدة هاك بعض أبياتها، لما وجه له بشرحه لعقيدته الصغرى:

صاغ الإمام الأوحـد البـحر الرضا	★★	عز العلوم ومبطل الشبهات
نجل الكرام محمد بن الشيخ ذي ال	★★	إفضال يوسف معدن البركات
الظاهر الأصل الشريف المرتضى	★★	الصالح المبرور في الدعوات
ذُرراً تفوق محاسن الدرر التي	★★	قد تفتنى ذخراً إلى الفاقات
بل لا يماثل حسنها إذ هي من	★★	أعلى الوسائل مطلباً للذات
وهي الموصلة المريد لما رجا	★★	من فتح ألقار وفيض هبات
بهزت عقول العارفين وكل من	★★	قد أنصف الهدى لمختفيات

فجزاكم الله يا نعم السيد عن أنفسكم وعن المسلمين، بأفضل ما جازى به أوليائه المتقين، لقد بذلتهم المجهود في نصحكم للمسلمين، وبينتم ما أشكل على كثير من المتقدمين والمتأخرين، ونظمت ما كان متفرقا من تلك الدرر، وأظهرتم ما كان محتفيا من تلك الغرر، فبرزت متقنة بجلايب تلك العبارات، منخرطة في سلوك أساليب تلك الإشارات، ممتعة على كل طفيلي لا يقدر قدرها، ولا يسلك وعرها»².

ونفس الإعجاب أبداه شاعرنا، لما بلغه شرح السنوسي لعقيدته الكبرى فقال:

وقريذة صاغ الإمام المرتضى	★★	العالم الخبر التقى الأمجد
نجل الكرام الصالحين ذوي العلا	★★	الظاهر الأصل الشريف محمد

¹ - محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن مجيب التازي، كان في عداد الفقهاء والصلاح، وهو صاحب قصيدة المنفرجة، وله قصائد في مدح تواليف الإمام السنوسي، منها ما ذكرناه، توفي رحمه الله سنة 920 هـ. طبقات الحضيكي/1: 249. الحركة الفكرية في عهد السعديين/2: 434.

² - طبقات الحضيكي/1: 265-266.

بَحْرُ الْعُلُومِ وَمَعْدِنُ الْأَسْرَارِ مِنْ	★★	بَيِّنِ الْأَنْبَاءَ بِعَصْرِهِ وَالْمُرْشِدُ
لَوْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ حُسْنَ عَقِيدَةٍ	★★	قَدْ صَاغَهَا هَذَا الْإِمَامُ الْأَوْحَدُ
لَرَأَيْتَ مَا يَجْلُو الْقُلُوبَ مِنَ الصُّدَا	★★	وَيُنِيلُهَا نُوراً حَكَاةَ الْفَرْقَدُ
فَعَلَيْكَ يَا نَعَمَ الْحَبِيبِ بِدَرْسِهَا	★★	تُذَرِّكُ فَوَائِدَ ذُونِهَا لَا تُوجَدُ
فِي شَرْحِهَا ظَهَرَتْ غَرَائِبُ عِلْمِهِ	★★	فَأَقْصِدْ إِلَيْهِ وَرَدْ فَنِعْمَ الْمَوْرِدُ
عَوَّلَ عَلَى كُتُبِ الْإِمَامِ فَإِنَّهَا	★★	تُعْنِيكَ عَنْ طَلَبِ الشُّيُوخِ وَتُسَعِّدُ ¹

وجماع الموضوعات التي أدار عليها السنوسي شرحه، يتمثل في الأقسام الثلاثة المشكلة لعلم التوحيد، يعني قسم الإلهيات وقسم النبوات وقسم السمعيات، ومقدمة جرت عادة المتكلمين بالتوطئة بها لمؤلفاتهم العقيدية، وذلك حسب التفصيل الآتي:

مقدمة السنوسي وشرحها: وتناول فيها «أول ما يجب قبل كل شيء على من بلغ، أن يعمل فكره فيما يوصله إلى العلم بمعبوده من البراهين القاطعة والأدلة الساطعة، إلا أن يكون حصل له العلم بذلك قبل البلوغ، فليشتغل بعده بالأهم فالأهم²... ولا يرضى لعقائده حرفة التقليد، فإنها في الآخرة غير مخرجة عند كثير من المحققين³... ولا يغتر المقلد ويستدل على أنه على الحق بقوة تصميمه وكثرة تعبه، للنقض عليه بتصميم اليهود والنصارى وعبداء الأوثان، ومن في معناهم تقليدا لأخبارهم وآبائهم الضالين المضلين»⁴.

فصل في الأسباب المعينة على عدم التقليد: وقبل الشروع في شرح المسائل المتعلقة بالفصل، قدم العلامة السنوسي لذلك بمقدمتين تمس الحاجة إليهما:

¹ - طبقات الحضيكي/1: 266-267.

² - عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد الكبرى: 3

³ - نفسه: 11.

⁴ - نفسه: 34.